بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موقع فضيلة الشيخ
محمد سعيد رسلان
www.rslan.com

مساكينُ أهلُ الغفلةِ !!

الجمعة ٢١ من جمادى الأولى
١٤٣٣هـ الموافق ١٣-٤-٢٠١٢م

عناصر الخطبة:

1)الخوادع و القواطع (الفوائد)

2)وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصيرٌ وتفريط، وإما إفراطٌ وغلوٌّ (الوابل الصيِّب)

3)ما الّذي يدفع العبد إلى ردِّ الحقِّ ؟ (مفتاح دار السعادة)

4)حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء (بدائع الفوائد)

5)الفتنة نوعان: فتنة **الشبهات** وفتنة **الشهوات** (إغاثة اللّهفان)

6)وَ لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد النَّاس

7)الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين)

8)محبة الله سبحانه، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والرضى به وعنه (إغاثة اللّهفان)

9)رفع ما يسوء لا يكون إلا بالخروج مما يسوء

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[آل عِمْرَان:١٠٢].

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النِّسَاء:١].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾[الْأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

[فنسأل الله بأسماه الحسنى و صفاته العلا أن يجنِّبنا مضلَّات الفتن ما ظهر منها و ما بطن]

إِنَّ العبد إِذا عَزَم على السّفر إِلَى الله تَعَالَى وإرادته عَرَضت لَهُ الخوادع والقواطع فينخدع أَوَّلا بالشَّهوات والرِّياسات والملاذ والمناكح والملابس فَإِذا وقف مَعهَا انْقَطع، وَإِن رفضها وَلم يقف مَعهَا وَصَدق فِي طلبه ابْتُلِيَ بِوَطْء عَقِبه وتقبيل يَده والوسعة لَهُ فِي الْمجْلس وَالْإِشَارَة إِلَيْهِ بِالدُّعَاءِ ورجاء برَكته وَنَحْو ذَلِك فَإِن وقف مَعَه وَانْقطع بِهِ عَن الله وَكَانَ حَظَّه مِنْهُ، وَإِن قَطَعه وَلم يقف مَعَه ابْتُلِيَ بالكرامات والكُشُوفات فَإِن وقف مَعهَا انْقَطع بهَا عَن الله وَكَانَت حَظَّه، و إِن لم يقف مَعهَا ابْتُلِيَ بالتَّجريد والتخلِّي وَلَذَّة الجمعيَّة وَعِزَّة الْوحدَة والفراغ من الدُّنْيَا فَإِن وقف مَعَ ذَلِك وانقطع به انْقَطع عَن الْمَقْصُود، وَإِن لم يقف مَعَه **وَسَار نَاظرًا إِلَى مُرَاد الله مِنْهُ وَمَا يُحِبهُ الله تعالى مِنْهُ**

بِحَيْثُ يكون عَبده الْمَوْقُوفَ على محابّه ومراضيه أَيْن كَانَت وَكَيف كَانَت تَعِب بهَا أَو اسْتراح تنعّم بها أَو تألّم أخرجته إِلَى النَّاس أَو عزلته عَنْهُم لَا يخْتَار لنَفسِهِ غير مَا يختاره لَهُ وليّه وسيِّده وَاقِفٌ مَعَ أمره ينفذهُ بِحَسب الْإِمْكَان وَنَفسه عِنْده أَهْون عَلَيْهِ من أَن يقدم راحتها ولذَّتها على مرضاة سَيّده وَأمره فَهَذَا هُوَ العَبْد الَّذِي قد وصل وَنفذ وَلم يقطعهُ عَن سَيّده شَيْء البتَّة.

[فاللهم اجعلنا كذلك و أنت أرحم الرّاحمين]

الفوائد

05:22

وما أمر الله عزَّ وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصيرٌ وتفريط، وإما إفراطٌ وغلوٌّ.

فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنَّه يأتي إلى قلب العبد فيُشامُّه، فإن وجد فيه تقصيرًا أو فتوراً أو توانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطَّة فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفُتور، وفتح له باب التأويلات والرَّجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبدُ المأمور جملة.

وإن وجد عنده حذرا وَ جِداً وتشميراً ونَهْضة و أَيِس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزَّائد وسوَّل له أنَّ هذا لا يكفيك وهمَّتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، وأن لا تَفْتُر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعاً، وإذا توضَّأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدِّي، فيَحمله على الغلُوِّ والمجاوزة وتعدِّي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه، ومقصوده من الرَّجلين إخراجهما عن الصراط المسقيم: هذا بأن لا يَقْربه ولا يَدنوَ منه، وهذا بأن يتجاوزه ويتعدَّاه.

وقد فُتن بهذا أكثر الخلق، ولا يُنْجي من ذلك **إلا علم راسخ وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط والله المستعان.**

الوابل الصيب من الكلم الطيب

[و الموانع الّتي تقطع العبد دون الوصول إلى الحقّ كثيرة و قد أخرج الإمام مسلمٌ في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله سلّم: " **لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنَ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ** " و في الحديث الآخر تفصيلٌ و بيان فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله سلّم: "**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**"، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَتكون نَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: " **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**" فبيّن الرسول صلّى الله عليه و آله سلّم ما هو الكِبر و أطلعنا على حدِّه و أتانا بتعريفه فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: " **الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ**" أي رَدُّه و دفعه و عدم تمكينه من القلب لأجل أنّ الّذي أتى به صَغيرُ السنِّ أو حقير الشَّأن أو فَقير ذاتِ اليد إلى غير ذلك من تلك الأمور الّتي يُدفع بها الحقّ، " **الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**" ازدْراؤهم و احتقارهم و عدُّهم هباءً، قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: "**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**"، ما الّذي يدفع العبد إلى ردِّ الحقِّ؟

لموانع إتباع الحقِّ أسباب:]السَّبَب الأول: **ضعف مَعْرفَة العبد بالحقّ**.

وَ الثَّانِي: **عدم الأهْليَّة**، وَقد تكون مَعْرفَته بِهِ تَامَّة لَكِن يكون **مَشْرُوطًا بِزَكَاة الْمحل وقبوله للتزكية** فَإِذا كَانَ الْمحل غير زَكِيٍّ وَلَا قَابل للتزكية كَانَ كالأرض الصَّلدة الَّتِي لَا يُخالطها المَاء فَإِنَّهُ يُمْتنع النَّبَات مِنْهَا لعدم أهليَّتها وقبولها فَإِذا كَانَ الْقلب قاسيا حجريًّا لَا يقبل تَزْكِيَةً وَلَا تُؤثر فِيهِ النَّصائح لم ينْتَفع بِكُل علم يَعْلمهُ كَمَا لَا تُنْبت الأرض الصلبة وَلَو أصابها كلُّ مطر وبُذِر فِيهَا كل بذر كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي هَذَا الصِّنْف من النَّاس { **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ – وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** }[يونس 96-97]

فَإِذا كَانَ الْقلب **قاسيا غليظا جَافيا** لَا يعْمل فِيهِ الْعلم شيئًا وكذلك إِذا كَانَ **مَرِيضا مَهِينا مائيًّا** لَا صَلابة فِيهِ وَلَا قُوَّة وَلَا عَزِيمَة [إذا كان كذلك] لم يُؤثِّر فِيهِ الْعلم.

[(السَّبب الثالث) من أسباب ردِّ الحقِّ و بطره]: **قِيام مَانعٍ وَهُوَ إِمَّا حسدٌ أَو كِبْر** وَذَلِكَ مَانع إِبْلِيس من الانقياد لِلْأَمْرِ وَهُوَ دَاءً الأولين والآخرين إلا من عصم الله.

السَّبَب الرَّابِع: **مَانع الرِّيَاسة وَالْملك** وإن لم يقم بِصَاحِبِهِ حسَدٌ وَلَا تَكَبُّر عَن الانقياد للحق لَكِنه لَا يُمكنهُ أن يجْتَمع لَهُ الانقياد مع مُلْكه ورياسته فيَظِنُّ بِملكه ورياسته كَحال هِرقل وأضْرابه من مُلُوك الْكفَّار الَّذين عَلمُوا نبوَّة النبيِّ صلَّى الله عليه و سلّم وَصِدقه وأقروا بهَا بَاطِنا وأحبُّوا الدُّخُول فِي دينه صلّى الله عليه و سلَّم و لَكِن خَافُوا على ملكهم، وَهَذَا دَاء أرباب الْمُلك وَالْوِلَايَة والرِّياسة وَقلَّ من نجا مِنْهُ إلا من عَصَم الله وَهُوَ دَاء فِرْعَوْن وَقَومه وَلِهَذَا قَالُوا {**أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ**}[المؤمنون 47] أنِفوا أن يُؤمنُوا ويَتَّبِعوا مُوسَى وهارون وينقادوا لَهما وَبَنُو إِسْرَائِيل عبيد لَهُم وَلِهَذَا قيل إنّ فِرْعَوْن لما أراد مُتَابعَة مُوسَى وتصديقه شاور هامان وزيره فَقَالَ: بَينما أنت إِلَهٌ تُعْبد تصير عَبدا تَعْبد غَيْرك فَأبى الْعُبُودِيَّة وَاخْتَارَ الرِّيَاسة والإلهية الْمُحَال.

[(السَّبَب الْخَامِس) من أسباب ردِّ الحقِّ]: مَانع الشَّهْوَة وَالْمَال وَهُوَ الَّذِي منع كثيرا من أهل الْكتاب من الإيمان خوفًا من بُطلَان مَأْكَلهمْ وَأَمْوَالهمْ الَّتِي تصير إليهم من قَومهمْ وَقد كَانَت كفَّار قُرَيْش يصدون الرجل عَن الإيمان بِحَسب شَهْوَته فَيدْخلُونَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَكَانُوا يَقُولُونَ لمن يحب الزِّنَا و الفواحش إنَّ مُحَمَّدًا يحرم الزِّنَا وَيحرِّم الْخمر وَبِه صدوا الأعشى الشَّاعِر عَن الإسلام

السَّبَب السَّادِس: محبَّة **الأهل والأقارب وَالْعشيرَة** يَرى أنه إذا اتبع الْحق وَخَالفهُم أبعدوه وطردوه عَنْهُم وأخرجوه من بَين أظهرهم وَهَذَا سَبَب بَقَاء خَلْقٍ كثير على الْكفْر بَين قَومهمْ وأهاليهم وعشائرهم.

السَّبَب السَّابِع [من أسباب ردَّ الحق على من أتى به]: **محبَّة الدَّار والوطن** وإنْ لم يكن لَهُ بهَا عشيرةٌ وَلَا أقارب لَكِن يَرَى أنَّ فِي مُتَابعَة الرَّسُول خُرُوجه عَن دَاره ووطنه إلى دَار الغربة إلى دَار النوى فيظِنُّ بوطنه و داره.

السَّبَب الثَّامِن: **منْ تخيَّل أن فِي الإسلام ومُتابعة الرَّسُول إزراءً وطعنا مِنْهُ على آبَائِهِ وأجداده**

وذمًّا لَهُم وَهَذَا هُوَ الَّذِي منع أبا طَالب وأمثاله عَن الإسلام استعظموا آبَاءَهُم وأجدادهم أن يشْهدُوا عَلَيْهِم بالْكفْر والضَّلال وأنْ يختاروا خِلاف مَا اخْتَار أولئك لأنفسهم وَرَأَوْا أنهم إن أسلموا سفَّهوا أحلام أولئك وضلَّلوا عُقُولهمْ ورموهم بأقبح القبائح وَهُوَ الْكفْر والشرك

السَّبَب التَّاسِع: **مُتَابعَة من يعاديه من النَّاس للرَّسول –صلَّى الله عليه و سلّم– وَسَبقه إلى الدُّخُول فِي دينه** وتخصيصه وقربه مِنْهُ وَهَذَا الْقَدْر منع خلقًا كثيرا من اتِّبَاع الْهُدى، يكون للرجل عَدوٌّ وَيُبغض مَكَانَهُ وَلَا يحب أرضًا يمشي عَلَيْهَا ويقصد مُخَالفَته ومُناقضته فيراه قد اتبع الْحق فيحمله قَصْد مناقضته ومعاداته على معاداة الْحق وأهله وإن كَانَ لَا عَدَاوَة بَينه وَبينهمْ [وإن كَانَ لَا عَدَاوَة فِي الأصل بَينه وَبين أهل الحقِّ] وَهَذَا كَمَا جرى للْيَهُود مَعَ الأنصار فإنهم كَانُوا أعدائهم وَكَانُوا يتواعدونهم بِخُرُوج النَّبِي صلَّى الله عليه و آله و سلَّم وأنهم يتبعونه ويقاتلونهم مَعَه فَلَمَّا بَدَرَهُم إليه الأنصار واسلموا حملهمْ معاداتهم على الْبَقَاء على كفرهم ويهوديتهم.

السَّبَب الْعَاشِر: **مَانِع الإلف وَالْعَادَة والمنشأ** فَإِن الْعَادة قد تقوى حَتَّى تَغْلِب حُكم الطبيعة وَلِهَذَا قيل العادة طبيعة ثَانِيَة فيُرَبِّي الرجل على الْمقَالة ويَنْشأ عَلَيْهَا صَغِيرا فيتربَّى قلبه وَنَفسه عَلَيْهَا كَمَا يتربى لَحْمه وعظمه على الْغذَاء الْمُعْتَاد وَلَا يعقل نَفسه إِلَّا عَلَيْهَا ثمَّ يَأْتِيهِ الْعلم وَهْلة وَاحِدَة يُرِيد إِزَالَتهَا وإخراجها من قلبه وأن يسكُن موضعهَا فيَعسر عَلَيْهِ الِانْتِقَال ويصعب عَلَيْهِ الزَّوَال وَهَذَا السَّبَب وَإِن كَانَ أضعف الأسباب معنًى فَهُوَ اغلبها على الأمم وأرباب المقالات والنِّحل لَيْسَ مَعَ أكثرهم بل جَمِيعهم إِلَّا مَا عَسى أن يشذَّ إلّا عادةً ومربًى تربى عَلَيْهِ طفْلا لَا يعرف غَيرهَا وَلَا يحسُن بِهِ فدين العوايد هُوَ الْغَالِب على أَكثر النَّاس فالانتقال عَنهُ كالانتقال عَن الطبيعة إلى طبيعة ثَانِيَة فصلوات الله وَسَلَامه على أنبيائه وَرُسُله خُصُوصًا على خاتمهم وأفضلهم مُحَمَّد صلَّى الله عليه وآله و سلَّم كَيفَ غيَّروا عوائد الأمم الْبَاطِلَة ونقلوهم إلى الإيمان حَتَّى استحدثوا بِهِ طبيعة ثَانِيَة خَرجُوا بهَا عَن عَادَتهم وطبائعهم الْفَاسِدَة وَلَا يعلم مشقة هَذَا على النُّفُوس إلا من زَاول نقل رجل وَاحِد عَن دينه ومقالته إلى الْحق فجزى الله الْمُرْسلين أفضل مَا جزى بِهِ أحدا من الْعَالمين.

[لا يعرف حقَّ ذلك و حقيقته إلّا من عانى في مجادلة و مناظرة و دعوة من كان منحرفًا عن منهاج النبوّة تربّى على الباطل و أُشربه قلبه فدار في دماه و اختلط بلحمه و عظمه فإذا حاولت نقله عن الباطل إلى الحقِّ فكأنّما تخرج روحه من انتقاله من باطله إلى الحقِّ الحقيق، و تأمّل في حال الأنبياء و المرسلين و كيف أن الله جلّ و علا أجرى علا أيديهم الخير العظيم خصوصا ما كان جرى على يديْ نبيِّه محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقد خرج النّاس على يديه من الضلال إلى الهدى و من الغواية إلى الهداية و من الكفر إلى الإسلام و من الشرك إلى الإيمان و من الشكِّ و الحيرة إلى اليقين و الثَّبات و يعاني ما يعاني في ذلك كلِّه، و لكلِّ متأسٍّ به من ذلك نصيب فمُقلٌّ و مستكثر و الله المستعان]

21:10

فحذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء:

أحدهما: **رد الحق لمخالفته هواك** فإنَّك تُعاقب بتقليب القلب وردِّ ما يرد عليك من الحق رأسًا ولا تقبله إلَّا إذا بَرَزَ في قالب هواك قال تعالى: {**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ**}[الأنعام 110] فعاقبهم على ردِّ الحقِّ أولَّ مرَّة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك.

[و هذا واقع مُشاهد فما أكثر ما ترى في من يُدْعى إلى الحقِّ فيردُّ الحقَّ أوّل مرّة و قد تبيَّن الحقُّ و ظَهر فيأبى كبره و تأبى طبيعته الثانية و إلْفُ عادته إلّا أن يردَّ الحقّ على الآتي به فيعاقب بما قال ربُّنا جلَّ و علا {**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ**} فعاقبهم على ردِّ الحقِّ أولَّ مرة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك، و تجدهم بكلِّ سبيل حيارى ملدّدين ينتقل الواحد منهم مع الصّباح و المساء من قول إلى قول و من مذهب إلى مذهب و من طريق إلى طريق، و معلوم أنَّ أهل البدعة يتناقضون فكلُّ من خالف السنّة وَقَع في التّناقض لا محالة لأنّ السنّة لا تناقض فيها إذ هي من عند الله جلّ و علا و ما كان من عند الله ربِّ العالمين فلا اختلاف فيه و أمّا ما كان من الأهواء و أمّا ما كان من الشّياطين فذلك يختلف فتجد أهل البدعة يتناقضون و

هي من أبرز علامات أهل البِدع، أنّهم لا يثبتون ينتقلون من النّقيض إلى النّقيض، يتحرّكون دائما بين المقالات، و يصبح الواحد منهم على مقالة و يمسي على أخرى، لا يكاد يستقيم له على طريق الحقِّ قدمان.

فالحمد لله على نعمة السنّة، نسأل الله ربَّ العالمين المزيد منها و الثّبات عليها و أن يقبضنا ربّنا تبارك و تعالى عليها و أن يحشرنا في زمرة من جاء بها.

حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء: أحدهما رد الحق لمخالفته هواك و عاقبته ما مرَّ،]

والثاني: **التهاون بالأمر إذا حضر وقته** فإنك إن تهاونت به ثبَّطك الله وأقعدك عن مراضيه وأوامره عقوبةً لك قال تعالى: {**فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبدا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ**}[التوبة 83]. فمن سلم من هاتين الآفتين والبليَّتيْن العظيمتين فَلْيَهْنِهِ السلامة.

[نسأل الله أن يسلِّمنا و أن يسلِّم مِنَّا]

بدائع الفوائد

25:05

[فاحذر الفتن المضلّة ظاهرها و باطنها واعلم أنَّ]

الفتنة نوعان: فتنة **الشبهات**، وهى أعظم الفتنتين، وفتنة **الشهوات** وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما.

ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصْد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيِّئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم:{**إِنْ يَتّبِعُونَ إلا الظّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ**} [النجم: 23] .

وقد أخبر الله سبحانه أن اتِّباع الهوى يُضِلُّ عن سبيل الله، فقال: {**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ**} [ص: 26] .

وهذه الفتنة [فتنة الشبهات] مآلها إلى الكفر والنِّفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع [فتنة الشبهات فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع]، على حسب مراتب بِدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضَّلال.

ولا ينُجى من هذه الفتنة إلا **تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه** في دِقِّ الدين وجِلِّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقَّى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، وما يُثْبته الله من الصفات والأفعال، والأسماء، وما ينفيه عنه، كما يتلقَّى عنه وجوب الصّلوات وأوقاتها وأعدادها، ومقادير نُصبُ الزكاة ومستحقيها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوْم رمضان، **فلا يجعله رسولا في شيء دون شيء من أمور الدين**، بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يُتلقَّى إلا عنه، ولا يؤخذ إلا منه، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال مبين، فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض عما سِوَّاه، ووزنه بما جاء به الرَّسول، فإن وافقه قَبِله، لا لكون ذلك القائل قاله، بل لموافقته للرِّسالة، وإن خالفه رده، ولو قاله من قاله، فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من **فهم فاسد**، وتارة من **نقل كاذب**، وتارة من **حقٍّ ثابت خفي** على الرجل فلم يظفر به، وتارة من **غرض فاسد وهوى متبع**، فهي من عمًى في البصيرة، وفساد في الإرادة.

[فاللَّهم إنَّا نعوذ بك من فتنة الشُّبهات كما نعوذ بك من فتنة الشَّهوات]

النوع الثاني من الفتنة: ففتنة الشهوات.

وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: {**كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ**} [التوبة: 69] .

أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النّصيب المقدر، ثم قال { **وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا** } فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات.

فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، **من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل،**[فالاستمتاع بالخَلاق و هو القدْر و النّصيب المقدّر الاستمتاع بالخَلاق فتنة الشّهوات و الخوض بالباطل فتنة الشّبهات] لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح.

فالأول: هو المبدع وما والاها، والثاني: فسق الأعمال.

فالأول فساد من جهة الشّبهات، والثاني من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: "احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه".

وكانوا يقولون "احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون".

وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرَّع، والهوى على العقل.

فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة.

ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: {**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**} [السجدة: 24] .

فدَّل على أنه بالصَّبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وجمع بينهما أيضاً في قوله: {**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**} [العصر: 3] .

فتواصوْا بالحق الذي يدفع الشبهات، وبالصبر الذي يكف عن الشهوات. وجمع بينهما في قوله: {**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبراهيم وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ أُولِى الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ**} [ص: 45] .

فالأيدي: القوى والعزائم في ذات الله، والأبصار: البصائر في أمر الله. وعبارات السلف* تدور على ذلك.

---

* قال ابن عباس "أولى القوة في طاعة الله، والمعرفة بالله".

وقال الكلبي "أولى القوة في العبادة، والبصر فيها".

فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة.

و إذا سلم العبد من فتنة الشّبهات والشّهوات حصل له أعظم غايتين مطلوبتين، بهما سعادته وفلاحه وكماله. **وهما الهدى، والرحمة.**

[فاللّهم اهدنا بهداك و ارحمنا برحمتك و أنت أرحم الرّاحمين]

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان

33:50

[و إذا ما آتى الله ربّ العالمين عبدًا هداه و تغمّده برحمته فقد صار من المخلِصين المخلَصين]

وَ **لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد النَّاس** إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار والضبُّ والحوت[فالضبّ حيوان جبليٌّ و الحوت حيوان بحريٌّ فلا يجتمعان]

فَإِذا حدَّثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص فَأقبل على الطّمع أَولا فاذبحه بسكين الْيَأْس وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة. فَإِذا استقام لَك ذبح الطَّمع والزُّهد فِي الثَّنَاء والمدح سهل عَلَيْك الْإِخْلَاص؛

فَإِن قلت وَمَا الَّذِي يسهّل عَليّ ذبح الطَّمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح فالجواب:

أما ذبح الطَّمع فيسهِّله عَلَيْك علمك يَقِينا أَنه لَيْسَ من شَيْء يطْمع فِيهِ إِلَّا وبيد الله وَحده خزائنه لَا يملكهَا غَيره وَلَا يُؤْتى العَبْد مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا بأمره ولا يؤتيه سواهُ.

وَأَمَّا ازهد فِي الثَّنَاء والمدح فيسهِّله عَلَيْك عِلْمُك أَنه لَيْسَ أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمّه ويشين إِلَّا الله وَحده كَمَا قَالَ ذَلِك الْأَعرَابِيُّ للنَّبِي –صلّى الله عليه و سلّم–: إِنَّ مدحي زين وذمي شَيْن قَالَ: "**ذَلِك الله عز وَجل**" [واعلم أنّ ثناء النّاس ينحلُّ في النِّهاية إلى شيءٍ لا يفيد، مدح النّاس إيّك إذا كان بما فيك فأنت لم تُؤت شيئًا إلّا من الله بجوده و رحمته و عطائه و منّته، فلا حول

وقال مجاهد "الأيدي: القوة في طاعة الله، والأبصار: البصر في الحقّ".

وقال سعيد بن جبير "الأيدي: القوة في العمل، والأبصار: بصرهم بما هم فيه من دينهم".

وقد جاء في حديث مرسل "**إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات**".==

لك ولا حيلة، و إن مدحوك بما ليس فيك فينبغي أن تتبرّأ من ذلك وأن تتوب إلى الله، فثناء النّاس ينحلُّ في النِّهاية إلى شيءٍ لا يفيد، إنّه لن يستر عورتك ولن يكسر جوعتك و لن يطعم أولادك و لن يكون لك سندًا في دنياك و لا في آخرتك هذا كلُّه إذا كان بغير موجب و أمّا إذا أطلق الله الألسنة بالثّناء عليك فاعلم أنّ لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في الإنسان من خيرٍ و شر كما قال رسول الله: "**لله ملائكة تنطق على ألسنة النّاس بما في المرء من خير و شرً**"]

فازهد فِي مدح من لَا يزينك مدحه وَفِي ذمّ من لَا يَشنيك ذمّه وارغب فِي مدح من كل الزَّيْن فِي مدحه وكل الشين فِي ذمه **وَلا يمكن أن يُقدَّر لك ذَلِك إِلَّا بِالصبرِ وَالْيَقِين** فَمَتَى فقدت الصَّبْر وَالْيَقِين كنت كمن أَرَادَ السّفر فِي الْبَحْر فِي غير مركب قَالَ تَعَالَى {**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُون**}[غافر 77] وَقَالَ تَعَالَى {**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآياتِنَا يُوقِنُونَ**}[السجدة 24]

الفوائد

[فعليك بهذين الأصلين فبالصّبر و اليقين تَنال الإمامة فِي الدِّين نسأل الله تجلّت قدرته و تقدّست أسماؤه أن ينجّينا من مضلّات الفتن و ما ظهر منها و ما بطن و إذا أراد بالنّاس فتنة أن يقبضنا إليه غير فاتنين و لا مفتونين و لا خزايا و لا محزونين و لا مُغيِّرين و لا مبدِّلين إنّه هو البرُّ الرّحيم و الجواد الكريم و صلّى الله و سلّم على نبيِّنا محمَّدٍ و على آله و أصحابه أجمعين]

الخطبة الثانية

39:12

[الحمد لله رب العالمين و أشهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له هو يتولَّى الصالحين و أشهد أن محمد عبه و رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم صلاة و سلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين أمّا بعد]

فالإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر.

قال غير واحد من السلف: الصبر نصف الإيمان، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر"

ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله { **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** } في سورة ابراهيم [5] وفي سورة الشورى [33] وفي سورة سبأ [19] وفي سورة لقمان[31].

وقد ذكر لهذا التنصيف اعتبارات:

أحدها: أن الإيمان اسم لمجموع القول والعمل والنية وهي ترجع إلى شطرين فعل وترك فالفعل هو العمل بطاعة الله وهو حقيقة الشكر والترك هو الصبر عن المعصية **والدين كله في هذين الشيئين فعل المأمور وترك المحظور.**

الاعتبار الثاني: أن الإيمان مبنيٌّ على ركنين يقينٍ وصبر، وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى {**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**} [السجدة: 24] فباليقين يعلم حقيقة الأمر والنهى والثواب والعقاب وبالصبر ينفِّذ ما أمر به ويكف نفسه عما نُهِيَ عنه.

ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهى انه من عند الله وبالثواب والعقاب إلا باليقين ولا يمكنه الدوام على فعل المأمور وكف النفس عن المحظور إلّا بالصبر فصار الصبر نصف الإيمان والنصف الثاني الشكر بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

الاعتبار الثالث [في هذا التنصيف أنّ الإيمان نصفان نصف شكر و نصف صبر]: أن الإيمان قول وعمل، والقول قول القلب واللسان والعمل عمل القلب والجوارح وبيان ذلك أن من عرف الله بقلبه ولم يقرَّ بلسانه لم يكن مؤمنا كما قال عن قوم فرعون { **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ**

}[النّمل 14] وكما قال تعالى عن قوم عاد وقوم صالح { **وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** }[العنكبوت 38] وقال موسى لفرعون { **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ** }[الإسراء 102] فهؤلاء حصل لهم قول القلب وهو المعرفة والعلم ولم يكونوا بذلك مؤمنين، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنا بل كان من المنافقين وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتَّى يأتيَ بعمل القلب من الحبُّ والبغض والموالاة والمعاداة فيحبُّ الله ورسوله ويوالي أولياء الله ويعادى أعداءه ويستسلم بقلبه لله وحده وينقادُ لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا وإذا فعل ذلك لم يَكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أُمر به.

فهذه **الأركان الأربعة** هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه وهى ترجع إلى علم وعمل ويدخل في العمل* كف النفس الذي هو متعلق النهى وكلاهما لا يحصل إلّا بالصَّبر فصار الإيمان نصفين أحدهما الصبر والثاني متولد عنه من العلم والعمل.

الاعتبار الرابع: أن النفس لها قوتان قوة الإقدام وقوة الإحجام وهى دائما تتردد بين أحكام هاتين القوتين فتُقدم على ما تحبه وتحجم عما تكرهه والدين كله إقدامٌ وإحجامٌ إقدامٌ على طاعة وإحجامٌ عن معاصي الله وكل منهما لا يمكن حصوله إلَّا بالصبر.

لاعتبار الخامس: أن الدين كله رغبة ورهبة فالمؤمن هو الراغب الراهب قال تعالى { **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** }[الأنبياء 90] وفي الدعاء عند النوم الذي رواه البخاري في صحيحه: "**اللهم إني أسلمت نفسي إليك و وجَّهت وجهي إليك وفوَّضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك** " فلا تجد المؤمن أبدا إلَّا راغبا وراهبا والرغبة والرهبة لا تقوم إلَّا على ساق الصبر فرهبته تحمله على الصبر ورغبته تقوده إلى الشكر.

---

* فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه وهي ترجع إلى علم وعمل، ويدخل في العمل كف النفس الذي هو متعلق النهي، وكلاهما لا يحصل إلا بالصبر، فصار الإيمان نصفين: أحدهما الصبر، والثاني ما تولد عنه من العلم والعمل.

، راجع شرح الشيخ لكتاب عِدَّةُ الصابرين http://rslan.com/vad/items_details.php?id=1373

الاعتبار السادس[في أم الإيمان نصفان نصف صبر و نصف شكر]: أنَّ جميع ما يُبَاشِره العبد في هذه الدار لا يخرج عما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره في الدنيا والآخرة أو ينفعه في أحد الدارين ويضره في الأخرى وأشرف الأقسام أن يفعل ما ينفعه في الآخرة ويترك ما يضره فيها وهو حقيقة الإيمان ففعل ما ينفعه هو الشكر وترك ما يضره هو الصبر.

الاعتبار السابع: أنَّ العبد لا ينفك عن أمر يفعله ونهيٍ يتركه وقدر يجرى عليه وفرضه في الثلاثة الصبر والشكر ففعل المأمور هو الشكر وترك المحظور والصَّبر على المقدور هو الصبر.

الاعتبار الثامن: أنَّ العبد فيه داعيان داع يدعوه إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها وداع يدعوه إلى الله والدار الآخرة وما أعد فيها لأوليائه من النَّعيم المقيم فعِصيان داعي الشهوة والهوى هو الصّبر وإجابة داعي الله والدار الآخرة هو الشكر.

الاعتبار التاسع: أنَّ الدين مداره على **أصلين العزم والثبات** وهما الأصلان المذكوران في الحديث الذي رواه أحمد والنسائي عن النبي –صلّى الله عليه و سلّم-: "**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد**" [و الحديث حسن بشواهده] وأصل الشكر صحَّة العزيمة وأصل الصبر قوة الثبات فمتى أُيِّد العبد بعزيمة وثبات فقد أُيد بالمعونة والتوفيق.

الاعتبار العاشر: أنَّ الدِّين مبنيٌّ على أصلين الحق والصبر وهما المذكوران في قوله تعالى { **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** }[العصر 3] وكان هذا هو حقيقة الشكر و لم يمكنه ذلك إلا بالصبر عليه فكان الصبر نصف الإيمان.

عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين

[عليك به فإنَّ المرء لا يصير إمامًا في الدِّين إلّا بالصّبر و اليقين و الصّبر يقوده إلى الشّكر فعلى المرء أن يجتهد في الخروج من فتنة الشبهات إذا وقع فيها و تورّط في حبائلها وانزلقت قدمه في حمأتها و على الإنسان أن يرجع إلى عقله و أن يفزع إلى ربِّه و أن يجتهد في الصَّبر عن المعاصي حتّى يَقيه الله ربُّ العالمين فتنة الشهوات فإنّه لا يَصحُّ للمرء دين حتّى يقيه ربُّه ربّ العالمين من هاتين الفتنتين فتنة الشبهات و فتنة الشهوات، واعلم أنَّ المرء قد يُعْصَم من فتنة الشهوات لا جُملة

و إنّما يجعل الله ربّ العالمين العزيمة الحذّاء و يجعل له الثّبات على الصّبر عن الشهوات و لكنه يكون أحمق ما يكون إذا عرضت له الشبهات. و معلوم أنّ أهل العلم ممّن آتاهم الله ربُّ العالمين علم السنّة بالاتباع لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يعلمون الفتن إذا أقبلت و أمّا أهل الولوغ في الشبهات و أمّا أهل البدع و الأهواء و أمّا جُملة النّاس من العوامّ و غيرهم فإنّهم لا يرون البدع إلّا من أقفيتها مولّية و مدبرة فتصيب منهم ما تصيب وتُجَنْدل منهم من تجندل و تُرْدِي منهم من تردي و يتورّط في شباكها من يتورّط، و أمّا أهل الحقّ ممّن يسلِّمون زمام قلوبهم للشّرع فلا يقودهم سواه و ليس لهم من متبوع سوى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، هؤلاء يعرفون البدع مقبلة فيَحَذرونها و يحذِّرون منها و أمّا أهل الأهواء فإنّهم إذا رأوْا تلك الفتن و إذا رأوْا جيش البدع مقبلًا فإنّهم يفرحون به و يتلقَّونه بكلِّ سبيل كالذّباب إذا رأى العسل قال من يوصِّلني إليه و له درهمان فإذا وقع فيه قال من يخرجني منه و له أربعة]

51:04

محبة الله سبحانه، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والرضى به وعنه: أصل الدين وأصل أعماله وإرادته، كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أصل علوم الدين كلها. **فمعرفته أجَلُّ المعارف، وإرادة وجهه أجَلُّ المقاصد، وعبادته أشْرف الأعمال، والثَّناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنيفية ملَّة إبراهيم عليه السلام.** وقد قال تعالى لرسوله-صلى الله عليه و سلم-: {**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ**} [النحل: 123] .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصي أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا "**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبيِّنا محمد، وملة أبينا إبراهيم، حنيفا مسلما، وما كان من المشركين**".[أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زياداته على المسند لأبيه من حديث أبيِّ بن كعب و صحّحه الألباني في السلسة الصحيحة].

وذلك هو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وعليها قام دين الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وليس لله دين سواه ولا يقبل من أحد دينا غيره.

{**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينا فَلَنَ يُقْبَلَ مَنْهُ وهو فِي الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ**} [آل عمران: 85].

فمحبَّته تعالى، بل كونه أحبَّ إلى العبد من كل ما سواه على الإطلاق، من أعظم واجبات الدِّين، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، ومن أحبَّ معه مخلوقا مثل ما يحبه فهو من الشرك الذي لا يغفر لصاحبه، ولا يقبل معه عمل.

[فالمحبّة مع الله شرك بالله لا يغفره الله إلّا إذا تاب منه العبد قبل أن يموت و قدّم محبة الله على محبة كلِّ ما سواه و **هذا من أَوْجب الواجبات في الدِّين و من أَفْرض الفروض فيه** و كثير من جماهير المسلمين بل من جماهير طلّاب العلم لا يعلمون حقيقة هذا الفرض و لا يدركون ماهية هذا الواجب: أنَّ الله فرض عليهم و أوجب أنْ يحبُّوه و أن تكون محبّته سبحانه مقدّمة في قلوبهم على كلِّ المحابّ. إذا كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يَصحّ للعبد إيمان إلَّا إذا كان أحبَّ إلى العبد من نفسه و والده و ولده و النّاس أجمعين إذا كان العبد لا يَصحُّ له إيمان إلّا بأن يحبَّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم هذه المحبّة، **فكيف بمحبة الله؟؟؟** و نحن إنّما أحببنا رسول الله محبّةً في الله لأنّه رسول الله ، **فكيف بالله؟؟؟** إذا كان إيمانك لا يصحُّ صحيحه حتّى تقدِّم محبة نبيِّك صلّى الله عليه و آله وسلّم على محبّة والدك و ولدك و النّاس أجمعين و نفسك الّتي بين جنبيك كما قال عمر للنّبيِّ صلّى الله عليه و سلّم و يَده في يده قال: لأنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلّا نفسي، قال: "**ولا هذه يا عمر**"، قال: الآن يا رسول الله، قال: "**الآن يا عمر**" هل تأمّلت في هذا قبل، فأين أنت منه؟؟؟]

قال تعالى: {**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله، وَالّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبا للهِ**} [البقرة: 165] .[كان المشركون يحبُّون الله و يحبون معه سواه و يحبون معه سواه و لذلك قال ربُّنا جلَّ وعلا { **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**} على أحد القولين في تأويل الآية و تفسيرها]

وإذا كان العبد لا يكون من أهل الإيمان حتى يكون [عبد] الله ورسوله أحب إليه من نفسه وأهله وولده ووالده والناس أجمعين، ومحبته تبعٌ لمحبة الله، **فما الظن بمحبته سبحانه؟**

وهو سبحانه لم يخلق الجن والإنس إلا لعبادته، التي تتضمن [كمال محبّته و] كمال تعظيمه [فالعبادة كمال محبّة في كمال تعظيم فكيف تكون عابدًا و لست محبًّا كمال محبّة و لست معظِّمًا كمال تعظيم حتّى تجمع الأمرين **فلن تكون عبدًا لله حقًّا و صدقًا حتّى تجمع كمال المحبّة في كمال الذلّ لله جلّ و علا**] والذّل له، ولأجل ذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه. وعلى ذلك وضع الثواب والعقاب، وأُسِّست الجنة والنار، وانقسم الناس إلى شقي وسعيد، **وكما أنه سبحانه ليس كمثله شيء، فليس كمحبته وإجلاله محبة وإجلال ومخافة.**

فالمخلوق كلما خفته استوحشت منه، وهربت منه، والله سبحانه كلما خفته أنست به وفررت إليه. [المخلوق إذا خفته فررت منه و أمّا الله إذا خفته فررت إليه، **ففرّوا إلى الله**] والمخلوق يُخاف ظلمه، وعدوانه، **والرب سبحانه إنما يخُاف عدله وقسطه.**

[المخلوق يُخاف ظلمه و جوره وعدوانه، و الخالق العضيم و الرب الكريم سبحانه إنما يخُاف عدله وقسطه، فاللّهم عاملنا بفضلك و لا تعاملنا بعدلك. كان الصّالحون إذا اجتهدوا في الدّعاء على رجل قالوا: اللهم عامله بعدلك، فإذا عامله بعدله أهلكه. فما ظنّك بربٍّ إنّما يخاف عدله فإذا عدل فيك أهلكك و إنّما تدخل عليه بفضله لا ليقيم عليك عدله]

كذلك المحبة، فإن محبة المخلوق إذا لم تكن لله فهي عذاب للمحب ووبال عليه.

وما يحصل له بها من التألّم أعظم مما يحصل له من اللّذة. وكلما كانت أبعد عن الله كان ألمها وعذابها أعظم.

هذا إلى ما في محبته من الإعراض عنك، والتجنّي عليك، وعدم الوفاء لك، إما لمزاحمة غيرك من المحبين له، وإمّا لكراهته ومعاداته لك، وإمّا لاشتغاله عنك بمصالحه وما هو أحبُّ إليه منك، وإمّا لغير ذلك من الآفات.

وأمَّا محبة الرب سبحانه فشأنها غير هذا الشأن، فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها، ووليُّها ومولاها، وربها ومدبرها ورازقها، ومميتها ومحييها.

فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرّة العيون، وعمارة الباطن، [وخراب الباطن في فقدها و عمارة الباطن في وجدانها]

فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزّاكية أحلى، ولا ألذّ، ولا أطيبَ، ولا أسرَّ، ولا أنعم من محبته والأُنس به، والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتمُّ من كل نعيم، واللذَّة التي تناله أعلى من كل لذَّة.

كما أخبر بعض الواجدين عن حاله فقال: "إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب".

وقال آخر: "إنه ليمر بالقلب أوقات يهتزّ فيها طربا بأنسه بالله وحبه له".

وقال آخر: "**مساكين أهل الغفلة**، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها".

[و أطيب ما فيها الأنس بالله و الانطراح على عتبات الرّحمات في جوف الظُّلمات بسَفْح العبرات و صعود الأنّات مع الزَّفرات، أما جرّبت خلوة بليل تقوم بين يديه مستغفرًا طالبًا منيبًا مخبتًا باكيًا مستعبرًا فتجد حلاوة الأنس و تجد الرّأفة و الرّحمة يغشيان القلب؟ أما وجدت تفريج الكروب و تحصيل المطلوب و زوال المرهوب ؟ فأيُّ ضياعٍ أكبر مِن ضياع مَن لم يطرق باب الكريم الّذي لا يَرُدُّ طالبًا؟ أيُّ ضياع هو أكبر من ضياع من لا يأنس بربِّه تبارك و تعالى و يفزع إليه إذا أصابه و ألمَّ به ما يوئسه من الخلق فيفزع إلى خالقهم و يلجأ إليه؟ فهذا أطيب ما فيها]

"لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف".

ووجد هذه الأمور وذوقها هو بحسب قوة المحبة وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب والقُرب منه، وكلَّما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتمّ، والقرب منه أوْفر، كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى.

فمن كان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته أعْرَف، وفيه أرْغَب، وله أحب، وإليه أقرب وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يعرف إلا بالذَّوق و الوجد، ومتى ذاق القلب ذلك لم

يمكنه أن يقدم عليه حبا لغيره، ولا أُنسًا به، **وكلما ازداد حبا ازداد له عبودية وذلا، وخضوعا ورقا، وحرية عن رق غيره** [بتمام العبودية لوجهه].

فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعَّم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن، إلا بعبادة ربه وحبه، والإنابة إليه، ولو حصل له جميع ما يلتذُّ به من المخلوقات فإنه لا يطمئن إليها، ولم يسكن إليها، بل لا تزيده إلا فاقة وقلقا، حتى يظفر بما خُلِق له، وهيئ له: **من كون الله وحده نهاية مراده، وغاية مطالبه.** فإن في العبد فقرا ذاتيا إلى ربه وإلهه، من حيث هو معبوده ومحبوبه وإلهه ومطلوبه، كما أن فيه فقرا ذاتيا إليه من حيث هو ربه وخالقه ورازقه ومدبِّره. وكلما تمكنت محبة الله من القلب وقويت فيه خرجت منه تألهه لما سواه وعبوديته له.

[فأصبح حرًّا عزَّة و صيانةً *** على وجهه أنواره و ضياؤه]

وما من مؤمن إلا وفى قلبه محبة لله تعالى. وطمأنينة لذكره، وتنعم بمعرفته، ولذة وسرور بذكره، وشوق إلى لقائه، وأنس بقربه، وإن لم يحسَّ به، لاشتغال قلبه بغيره، وانصرافه إلى ما هو مشغول به، فوجود الشيء غير الإحساس والشعور به.[وجود الشيء شيء و الإحساس به و الشعور به شيء قد يوجد الشيء و لا يحسُّ و لا يدرك]

وقوة ذلك وضعفه وزيادته ونقصانه: هو بحسب قوة الإيمان وضعفه وزيادته ونقصانه.

ومتى لم يكن الله وحده غاية مُراد العبد ونهاية مقصوده، وهو المحبوب المُراد له بالذات والقصد الأول، وكل ما سواه فإنما يحبه ويريده ويطلبه تبعًا لأجله، **لم يكن قد حقق شهادة أن لا إله إلا الله،** وكان فيه من النَّقص والعيب والشِّرك بقدره، وله من موجبات ذلك من الألم والحسرة والعذاب بحسب ما فاته من ذلك.

ولو سعى في هذا المطلوب بكل طريق، واستفتح من كل باب، ولم يكن مستعينا بالله، متوكلا عليه، مفتقرا إليه في حصوله، متيقنا أنه إنما يحصل بتوفيقه ومشيئته، وإعانته، لا طريق له سوى ذلك بوجه من الوجوه، [إذا لم يكن كذلك] **لم يحصل له مطلوبه. فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فلا يوصِّل إليه سواه، ولا يدلُّ عليه سواه، ولا يعبد إلا بإعانته، ولا يُطاع إلا بمشيئته.**

وإذا عُرف هذا، فالعبد في حال معصيته واشتغاله عنه بشهوته ولذَّته، تكون تلك اللذة والحلاوة الإيمانية قد استترت عنه وتوارت، أو نقصت، أو ذهبت. فإنَّها لو كانت موجودة كاملة لما قدَّم عليها لذَّة وشهوة، لا نسبة بينها و بينها بوجه من الوجوه، بل هي أدنى من حبة خردل بالنسبة إلى الدنيا وما فيها. لهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: "**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمَرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**". [و الحديث في الصّحيحين]

فإن ذوق حقيقة الإيمان ومباشرته لقلبه يمنعه من أن يؤثر عليه ذلك القدر الخسيس، وينهاه عما يُشَعِّثه ويَنْقُصه.

ولهذا تجد العبد إذا كان مخلصا لله منيبا إليه، مطمئنًّا بذكره، مشتاقا إلى لقائه [تجد قلبه] منصرفا عن هذه المحرَّمات، لا يلتفت إليها، ولا يعوِّل عليها، ويرى استبداله بها عمَّا هو فيه كاستبداله البَعْر الخسيس بالجوهر النفيس، وبيعه الذهب بأعقاب الجزر، وبيعه المسك بالرجيع.

ولا ريب أن في النفوس البشرية من هو بهذه المثابة، إنما يصبو إلى ما يُناسبه، ويميل إلى ما يُشاكله، فينفر من المطالب العاليَّة، واللذات الكاملة ينفر الجُعَل من رائحة الورد. وشاهدنا من يمسك بأنفه عند وجود [رائحة] المِسك ويتكرَّه بها، لما يناله بها من المضرة.

فمن خُلق للعمل في الدباغة لا يجيء منه العمل في صناعة الطِّيب، ولا يليق ولا يتأتى منه.

والنفس لا تترك محبوبا إلَّا لمحبوب هو أحب إليها منه، أو للخوف من مكروه هو أشق عليها من فوات ذلك المحبوب.

فالذَّنب يُعدم لعدم المقتضي له تارة لاشتغال القلب بما هو أحب إليه منه، ولوجود المانع تارة، ومن خوف فوات محبوب هو أحب إليه منه تارة.

فالأول: **حال من حصل له من ذوق حلاوة الإيمان وحقائقه والتنعم به**، ما عوض قلبه عن مَيْله إلى الذنوب.

والثاني: **حال من عنده داع وإرادة لها، وعنده إيمان وتصديق بوعد الله تعالى ووعيده**، فهو يخاف إن واقعها أن يقع فيما هو أَكْره إليه، وأشق عليه.

فالأول: النفوس المطمئنَّة إلى ربِّها. والثاني: لأهل الجهاد والصبر.

وهاتان النفسان هما المخصوصتان بالسعادة والفلاح.

قَال اللهُ تعَالَى في النفس الأولى: {**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطمَئِنَّةُ – ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَة مَرْضِيَّةً – فَادْخُلِي فِي عِبَادِي – وَادْخُلِي جَنَّتِي**} [الفجر: 27 - 30] .

وقال في الثانية: {**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**} [النحل: 110] .

فالنفوس ثلاثة: نفس مطمئنَّة إلى ربها، وهى أشرف النفوس وأزكاها. ونفس مجاهدة صابرة. ونفس مفتونة بالشهوات والهوى، وهى النفس الشقية، التي حظها الألم والعذاب، والبعد عن الله تعالى والحجاب.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان

[نسأل الله عزَّ و جلَّ أن يرينا الحقّ حقًّا و أن يرزقنا اجتنابه و أن يرينا الباطل باطلًا و أن يرزقنا اجتنابه.

01:12:08

أيها الأحبَّة، من أهل السنة على منهاج النبوة،

إن علماء أهل السنة، على مدار تاريخ الإسلام كلِّه، كانوا إذا نزلت النوازل بالخَلق، أرجعوهم إلى الربِّ جل وعلا. وأعلموهم أن ما نزل إنَّما نزل بذنب، وأنما أحاط بهم كُربه بنقمة. وهذه النقمة إنما هي بما كسبت أيديهم. ودَلُّوا الخلق على أن **رفع ما يسوء لا يكون إلا بالخروج مما يسوء.** فدلُّوهم على طريق الإنابة والمتاب، وأرشدوهم إلى الحق والصواب، ولم يأخذوا بأيديهم إلى تَلمُّس الفتات عبر الطرقات ، وإنما دلُّوهم على حقيقة الدين الذي جاء به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

شكا الناس إلى الحسن البصري ظلم الحجَّاج ، فقال : إنمَّا الحجاج عقوبة، عقوبة من الله وعقاب . أي بما كسبت أيديكم . فتوبوا إلى بارئكم فإنَّ عقوبة الله لا تُدفع بالأكُفِّ والسيوف ، وإنما تُدفَع بالإنابة والإخبات والخروج من رِبقة الذنوب.

هذا هذا، وهو الطريق، فكم ممن عَشَى عنه، بل كم ممن عَمي عنه، بل كم ممن ضلَّ عنه وأَضلَّ عنه، وإلى الله المشتكي وهو حسبنا ونعم الوكيل.

هذا هو الطريق، وأما الإرتماء في أحضان الأسباب من غير إرشاد إلى التوكل على ربها وخالقها وإعادة الأمر إليه، فهذا قدح في توحيد الربوبية.

أفلا يُرشَد البشر إلى أن الله جل وعلا على كل شيء قدير، وأنه هو مالك الملك وخالق الخلق ومدبِّر الأمر؟ هذا هو توحيد الربوبية. أفلا يعيدون النَّاس إلى الربوبية؟ يحدثوا لله رب العالمين توبة، فإنه ما حدث فيهم ذنب إلا بعقوبة، وما رفع إلا بتوبة، ومن يماري في كثرة الذنوب والخطايا والآثام وكيف جاهر القوم بالفواحش العظام، وآخر ذلك تحريف الديانة وتغيير دعائم المِلَّة، وتشوية العقيدة والشريعة معا، وهذا أكبر الذنوب وأعظمها وأفحشها، لأنَّه مضادٌّ لما جاء به الرسول ومشاقَّة له ومحادَّة لدينه، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه؟

إن موسى عليه السلام لما جاءه قومه من المستضعَفين في الأرض، فأما فرعون وملأه فيقتِّلون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويسومونهم الخسف وسوء العذاب، فلمَّا جاءوا إلى موسى شاكين، أرشدهم إلى الحق والصواب {**اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**} [الأعراف 128]

الملك لله يؤتيه من يشاء وهو مالك الملك ومصرفه، وهو على كل شيء قدير. {**اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**}.

{**اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا**}، سيجعل الله بعد عسرٍ يسرا، وبعد هم فرجا، وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير.

وصلى الله سلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. ...]